جورج برنارد شو

رسـائل غـرام

من منا لا يعرف جورج برنارد شو ، فهو روائى عظيم قام بتأليف العديد من الروايات التى أثرت فى تاريخ الأدب الإنجليزى فتحولت إلى مسرحيات وأفلام، منها قصة بيجماليون (سيدتى الجميلة) التى ترجمت إلى العديد من اللغات، وبقدر عظمة شو فى الأدب كان أيضًا عاشقًا عظيمًا . فقد كان شو عاشقًا للحب، ويعتقد أن الحب بدون رسائل عاطفية متبادلة ليس حبًّا كاملاً ، ومما يؤكد هذا مجموعة الرسائل المتبادلة بينه وبين " إلين تيرى " الممثلة الشابة التى تميزت بوجهها الجميل وسحرها وحيويتها الدائمة طوال ٢٦ عامًا متواصلة على المسرح الإنجليزى، فقد ظل شو وتيرى يتبادلان الرسائل لفترة طويلة قبل أن يلتقيا، حتى إن

إلين رأته أولاً وهى خلف ستارة المسرح ، وكـان هـو يجلـس فـى الكرسـى المعتاد المخصص للنقاد .

بدأت الرسائل بين شو وتيرى فى عـام ١٨٩٠م وكـانت أول رسـالة مـن تيرى تطلب رأيه كناقد فى صوت شابة صديقة لها تريد أن تدخـل مجـال الغناء فى ذلك الوقت وفورًا أرسـل لهـا شـو الـرد ، ومـن هـذه اللحظـة لم تنقطع الرسائل بينهما حتى وفاة إلين بوقت قصير .

أسبوع بعد الآخر وجد شـو نفسـه غارقًـا فـى حـب تـيرى ومـهتمًا بـها وحريصًا على مصالحها ، وكان أكثر ما يزعجه هـو احتكـار مديـر أعمالهـا هنرى إيفيرينج لموهبتها الرائعة ، وقد حاولت إلين كثيرًا أن توفـق بينـهما بلا جدوى .

لم يلتق شو وتيرى إلا إذا جمعهما المسرح فـى مناسـبة مّـا وكـانت هـذه المقابلات تسبب لهما نوعًـا مـن التوتـر، فكلاهمـا كـان يفضـل اللقـاء عـبر الرسائل.

وعلى مر الزمن اعتـبر النقـاد والأدبـاء أن رسـائل شـو ـ تـيرى هـى مـن كلاسيكيات الأدب الإنجليزى على مر العصور .

لم يكن شو من النوع الجذاب ، فقد كان طوله يزيد على الـ ٦ أقـدام ، نحيف ، له عينان زرقاوان ، ووجه شاحب ، وشـعر أحمـر ، وذقـن غـير منتظمة وكان من يراه يشعر أنه يعانى من أمراض سوء التغذية ولكنـه علـى مر السنوات أصبح يـهتم بمظـهره أكـثر ، وأصبـح يظـهر فـى المجتمعـات بصورة هائلة جذابة .

كان شو يتميز بسحر غامض ، وصوت ناعم ، ويصف ما حولـه بطريقـة حديثة كأنه أغنية إيقاعية .

ولد جورج برنارد شو فى شارع Synge فى Dublin فى ٢٦ من يوليو عام ١٨٥٦م ، اجتهدت والدته فى رعاية المنزل ، فقد كانت قدرتها على الاحتمال كبيرة ، فحملت على أكتافها كل المسئوليات التى قابلها والده السكيّر بلامبالاة، وعلى الرغم من هذا فقد كان والده لطيفًا وحنونًا .

وجدت والدته فى الموسيقى العزاء الوحيد لما تحملته من مصاعب ، ومسئوليات. وفى سنة ١٨٧٢ م قررت الأم الرحيل إلى لندن مع ابنتها تاركة ابنها البالغ من العمر ١٥ عامًا مع والده باحثة عن تقدير أفضل لموهبتها كمدرسة موسيقى .

ومن الواضح أن هذا الحدث أثر فى نفسية شو ولم ينسه حتى إنه كتب لتيرى يقول : " آهِ من الطفولة ، الواقع هو الخوف والقليل من الحب " .

فى بداية حياته عمل برنارد شو كسمسار للأراضى والعقارات ، وعندما بلغ عامه الـ ٢٠ أدرك شو أن مستقبله ليس فى دبلن ، وقرر أن يلحق بوالدته فى إنجلترا ، وعلى مضض عاش شو مع والدته وأخته المغرورة لوسى، فقد تُوفيت أخته الأخرى فى وقت سابق لوصوله إلى إنجلترا كما دخل شو مجال العمل المصرفى والوظائف الحكومية ، ولكن لم يكن فى نيته أن هذه الوظائف ستمثل مستقبله المهنى ، فقد كان حلمه الوحيد أن يصبح روائيًا ، وقد كتب فى السنوات الخمس التالية خمس روايات لم تلاقِ نجاحًا كبيرًا ، فالمبلغ القليل الذى كان يكتسبه بطريقة عرضية ، كان نتيجة لبعض الموضوعات التى يكتبها لبعض المجلات والجرائد بصفته صحفيًا مستقلاً .

وقع شو فى الحب لأول مرة بينما كان يكتب رواية Cashel Byron's Profession كانت الفتاة وتدعى Alice Lockett و هى من تلميذات والدته. بدأت القصة فى مارس ١٨٨٢م واستمرت مدة عامين، وحتمًا كانت

هذه الفتاة ذات شخصية فريدة لتؤثر فى شو طوال هذه المدة ، ولكن بعد هذه المدة تركته Alice وتزوجت طبيبًا شهيرًا فى ذلك الوقت .

الحب الثانى فى حياة شو سيدة تدعى Jenny patterson وهى أيضًا من تلميذات والدته ، وتكبره بخمسة عشر عامًا ، أرملة ، جميلة وذات عاطفة جياشة ، وكان هو فى هذا الوقت يبلغ ٢٩ عامًا. كانت شخصية مزاجية ، غيورة وطبعها تملكى بحت ، فقد تملكت شو طيلة ثمانى سنوات كاملة ، كانت تطارده فى كل مكان وتبعد عنه أى امرأة تحاول التقرب منه ، وكانت كثيرًا ما تحتل منزله . وكانت رغبة شو دائمًا أن يتخلص من هذه العلاقة ، ولكنه لم يكن ليواجهها بمثل هذه الرغبة .

اقتحم شو مجال السياسة ، وأصبح اشتراكيًّا شديد الحماسة فى التيار اليسارى Fabian Society وكانت هذه المنظمة مليئة بالسيدات الجميلات ، اللاتى وجدن فى العضو الجديد ذى اللسان المعسول المثقف ما يكفى لجعله من أكثر الرجال جاذبية .

وفى إحدى هذه الاجتماعات التى كانت تنظمها هذه المنظمة قابل شو Florence Farr ممثلة شابة ، جميلة ، عاطفية ، ومليئة بالأفكار التقدمية ، فقد كانت Florence تمثل نوعًا جديدًا من النساء بدأ يظهر فى ذلك الوقت ، كانت تمثل المرأة العصرية فهى تفضل الاعتماد على نفسها لكسب المال ، وتعيش بمفردها ، وترفض تمامًا أى مساعدة من أهلها .

بعد أن أنهى شو كتابة مسرحيته الشهيرة Widower's Tbuses طلب منها أن تلعب دور البطولة وبالفعل قامت Florence بالدور النسائى الرئيس فى هذه المسرحية ، وعلى الرغم من معرفة شو لعلاقاتها العديدة السابقة إلا أنه ظل يحبها ومفتونًا بها ، فقد كان يعتبرها رمزًا للأنوثة المتكاملة ، حتى أنه كتب عنها يقول : " أنت أفضل وأعز حب ، أنت مجددة

الحب لقلبى والفرحة لروحى ، كنزى ، خلاصى ، راحتى ، جائزتى ، طفلتى الصغيرة وتملكين لمحة سرية للجنة ".

وبينما شو غارق فى العشق مع Florence لم تكفّ Jenny patterson عن مطاردته والغيرة عليه ، وفى أحد الأيام وعندما كان شو يقضى سهرة رومانسية مع Florence شنت Jenny عليه هجومًا عنيفًا وبالأخص على Florence استاء شو كثيرًا من تصرفها هذا وأدرك أنه حان الوقت ليقطع علاقته بها إلى الأبد ولكنها استمرت بإرسال الرسائل العاطفية لشو، ولكنها استردتها بدون أن يقرأها أو حتى يفتحها شو .

وظل شو مع فلورنس يعيشان قصة حبهما بدون منغصات ، و كانت Florence ممثلة جيدة ، وقد ساعدها شو كثيرًا لتصبح ممثلة عظيمة فقد أسند لها دور "Louka" فى مسرحيته الشهيرة " Arms and the man" وكان هذا الدور بمثابة خطوة هامة فى حياتها الفنية وكان هذا الدور فى الحقيقة نهاية التعامل الفنى بين شو وفلورنس فقد ظهر فى حياة Florence الشاعر W.B Yeats الذى خطفها من شو بسرعة فائقة بسبب وسامته وثقافته العالية، فقد وصفه شو بنفسه بأنه أوسم شاب قابله على الإطلاق .

وبعد فترة قصيرة جدًا قابل شو الممثلة الشابة Janet Achurch وقام بتأليف مسرحية Candida " خصيصًا " لها .

وتوالت العلاقات والقصص العاطفية التى أثرت فى حياة شو بشكل أو بآخر، وأثرت بلاشك فى أدبه وفنه ، ومن هذه العلاقات علاقته بسيدة تدعى Annie Besant وكانت Annie تتمتع بشخصية جادة ، واختلفت مع شو فى كثير من الآراء فكانت Annie تكره العادات والتقاليد القديمة الباقية منذ العصر الفيكتورى ، وكانت تنادى بأفكار حديثة مثل تحديد

النسل، والإلحاد، وحقوق المرأة ، ولم تنجح علاقتهما حيث قررت هى الانفصال عن شو .

بدأت سمعة شو فى الأوساط تتأثر بهذه العلاقات العديدة ، وبأنه رجل لا يحب الاستقرار ، ففكر شو فى الزواج من ابنة الفنان William Morris وتدعى May Morris ظل شو يتردد على منزل أسرة Morris كثيرًا وظلت May تنتظر أن يفتح شو عرض زواجهما ولكن شو لم يفعل ، وفى النهاية تزوجت May الكاتب Henry halliday بالرغم من حبها الشديد لشو .

كان شو من القلة المثقفة الذين قرءوا لكارل ماركس ولذلك عندما قابل Eleanor marrs الابنة الصغرى لكارل ماركس فى قاعة القراءة بالمتحف البريطانى أبدى اهتمامًا شديدًا بها ، فقد كانت Eleanor فتاة حنونًا، حساسة، شديدة الذكاء وأصبحا صديقين لمدة سنتين أحست بعدها Eleanor أن هذه الصداقة ستتحول إلى قصة حب حتى ظهر فى حياة Eleanor الزعيم الملحد الماركسى Dr.Edward Aveling ، وعرض عليها الزواج فوافقت وانتهى هذا الزواج بانتحار Eleanor ولم يسامح شو Aveling أبدًا .

إن الزواج بالنسبة لشو لم يكن شيئًا ضروريًا أو حيويًا فى حياته، ولكن فى صيف عام ١٨٩٦م قابل شو Charlotte payne Townshend وهى سيدة أيرلندية تبلغ من العمر ٣٤ عامًا ، وتملك الملايين التى ورثتها من زوجها الراحل ، وبالرغم من هذه الملايين فقد كانت عضوًا فى الـ Fabian Society وقد كتب شو فى رسالة إلى تيرى يقول : إن حب Charlotte سينعش قلبه.

كانت شارلوت تناسب شو إلى حد كبير، فبالرغم من أن شارلوت شخصية هادئة وانطوائية إلى حد ما ، كانت أيضًا تتمتع بعدد من الأصدقاء، منهم لورانس العرب ، وفى عام ١٨٩٨م أصبحت شارلوت السكرتيرة الخاصة لشو ومن رسائله كان من الواضح أن فكرة الزواج

بشارلوت تراوده ولكن ثروتها أزعجته ، وشعر أن زواجهما لن ينجح بسبب عدم التكافؤ المادى ، وحاول شو أن يعمل كثيرًا ليكون مستقلاً عن شارلوت ماديًا .

رحلت شارلوت للقيام بجولة سياحية حول العالم تاركة شو يخطط لمستقبله ، ويحقق ما يتمناه ، وعندما وصلت إلى روما تلقت تلغرافًا يبلغها أن شو يعانى مرضًا شديدًا فلم تتردد شارلوت وألغت باقى رحلتها ، ورجعت على الفور ، وعندما رأته وجدته فى حالة مزرية ، فالإعياء الشديد واضح عليه ، والإرهاق الناتج عن العمل الكثير المستمر بالإضافة إلى الغرفة التى ينام بها ، فقد كان التراب يعلوها وآثار الطعام الذى لم يمس فى جميع أرجاء الغرفة ، وعلى الفور قررت شارلوت نقل شو إلى منزل تملكه بعيدًا عن العمل ، ووفرت له هناك الرعاية الطبية الدائمة ، والغذاء المفيد ليستعيد صحته .

وبعد فترة من العلاج قرر شو الزواج من شارلوت فأسرعت هى بشراء خاتم الزفاف ، وبالفعل تم زواجهما فى عام ١٨٩٨ م.

وتميزت حياتهما بالاستقرار والراحة النفسية والرومانسية ، فقد كانت شارلوت شخصية صبورة ومنظمة فنجحت فى إدارة المنزل.

وبالطبع لم يتخل شو عن قصصه العاطفية ، حتى بعد زواجه فقد كانت Erica Cotterill سيدة من أشد المعجبات بشو كانت تقرأ كل ما يكتبه شو ، وأرسلت Erica لشو العديد من الرسائل ترجوه فيها أن تقابله ، وفى النهاية وافق شو ، وبادلها الرسائل ، حضرت Erica بالفعل لمقابلته فى منزله فور موافقته ، وحاولت كثيرًا أن تبقى فى منزل شو ولا تبارحه ، حتى تصدت لها شارلوت ، ومنعتها من الحضور مرة أخرى .

لم يواجه زواج شو أى تهديدات حتى ظهور الممثلة الشهيرة Mrs. Campbell فقد كانت شارلوت تشتكى من الرسائل المتبادلة بين شو وتيرى، ولكنها لم تشعر بأى خطر على زواجها من هذه الرسائل، على العكس عندما علمت بعلاقة شو بالممثلة Campbell شعرت شارلوت بالخطر يخيم على حياتها الزوجية ، فقد أسند شو إلى Stella الدور الرئيس فى مسرحيته الشهيرة The Second Mrs Tanqueray وقد أذهلت Stella الجميع بأدائها المتميز ، مما دفع شو لكتابة مسرحيته الشهيرة جدًا " بيجمليون " " خصيصًا" لها وكان شو وقتها يبلغ من العمر ٥٦ عامًا، ولكن هذه العلاقة انتهت بعد أن علم شو أن هناك علاقة بين Stella وأحد المعجبين وهو George Cornwallis ولم يسامحها شو أبدًا على ذلك .

بعد هذه القصة لم تعد حياة شو العاطفية كما كانت فقد بدأت حياته تأخذ شكلاً مأساويًا إلى حد ما. فقد توفيت شارلوت عام ١٩٤٣م بعد أن عاشا طيلة ٤٥ عامًا وبعد سنوات قليلة وفى أحد الأيام كان شو يقوم بتقليم أشجار التفاح فى حديقته بايوت سانت لورنس ، وقع شو وكسرت قدمه، وتوفى فى ٢ نوفمبر ١٩٥٠م متأثرًا بما أصابه فى هذه الحادثة .

" لماذا لا يستطيع المرء أن يجعل حبيبته سعيدة بدون أن يتخلى عن الأخرى "

جورج برنارد شو